المحاضرة رقم (02)

الأدب السياسي

مفتتح

الأدب السياسي قديم قدم الممارستين نفسيهما أي: الأدب والسياسة، لكنه لم يقو، ولم يتجذر في صميم الذائقة العربية إلا في العصر الحديث، حيث انفتح إنسانها على المدنية وما تخللها من مبادئ منها: الدولة، الوطن، الحزب، الاستعمار، فعرف معها معاني: الانتماء، الثورة، المقاومة، النضال، من أجل توفير حياة أفضل يسودها الأمن والحرية والعدالة الاجتماعية، فتنوعت الأطر التعبيرية للأدب السياسي، لكنها ظلت، على اختلافها، تتغنى بالمضامين نفسها التي تحث الإنسان على النظر إلى المستقبل بعيون ملؤها الكفاح والتصدي.

1- تعريفه

يحدد أحمد محمد الحوفي الأدب السياسي بوصفه نوعا من الكتابة الأدبية: «يتعاطى شؤون الحكم تأييدا وتفنيدا، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم.»[1]

يوهم المفهوم باتساعه ليشمل أجناس القول المعروفة من شعر وكتابة وخطابة، غير أنه ينتصر لجنس أدبي محدد هو الشعر، بدليل التحديد الزمني المتابع للمفهوم نفسه والذي يحصر الفعالية الأدبية في العصر الأموي، وكما نعلم فهو عصر يعلي رتبة الشعر على حساب الفنون الأدبية الأخرى، فيخرجه بمظهر صوت القبيلة، ضميرها النابض، لسانها المنافح، وذاكرتها الجمعية[2]، مما يحصر التعريف في ثنائية الشعر والسياسة بدل الأدب والسياسة، التي ترتكز على أغراض: المدح، الهجاء، النقائض، وتدور حول مواضيع: الموالاة والعصبية التي تضم شعراء البلاط والتكسب، والرفض الذي يتوزع بين شعراء الأحزاب: الخوارج، العلويين، الهاشميين، الزبيريين.

---

1)- أحمد محمد الحوفي، ***أدب السياسة في العصر الأموي***، دار القلم، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1384هـ- 1965م، ص6.

2)- عبد الكريم النهشلي، ***الممتع في صنعة الشعر***، تحقيق: محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال جزي وشركاه، مصر، (د.ط)، (د.ت)، ص11.

فيما يتصوره الجنابي في الرسالة الأدبية التي تحرص على إبراز موقف صاحبها تجاه السلطة سواء كان الموقف إيجابيا أو سلبيا أو حياديا؛ حيث يعرفه بوصفه الأدب الذي يحمل رسالة الخطاب السياسي؛ «وهو خطاب متعلق بالسلطة سلبا أو إيجابا وهو يتوافق مع السلطة في أغلب الأحيان ويختلف معها في بعض الأحيان، وقد يتخذ الحيادية في أحيان أخرى.»[3]

وهو مفهوم يجعل من الأدب السياسي كل أدب يدخل في علاقة مع السلطة بطريقة ينشأ عنها نزاع أو وئام أو حيادية؛ إذ يحيل الأولان إلى مبدأ الالتزام بقضايا الشعب بحسب تحديدات السلطة أو الالتزام بقضايا الشعب من منظور الكاتب الذي يتفاعل مع المجتمع انطلاقا من قناعاته الفكرية، بينما يحيل الأخير على مبدأ الفن للفن؛ وهو نمط من الكتابة يحسر الأدب ضمن دائرة ضيقة الحدود، تجعله منغلقا دون قضايا الواقع فلا يفصح عن موقفه تجاهها، مثلما عبر عن ذلك نجيب سرور بسخرية:

ماذا على الشعراء لو لزموا الحياد
في زحمة الألوان ظلوا كالرماد
كالماء لا لون لهم
وليذهب الشيطان بالألوان طرًّا
فالشعر شيء... والسياسة
شيء سواه
كالماء والقطران من حيث الكثافة
يا للسخافة..
من قال هذا؟![4]

كما يرى نجيب محفوظ أن الأدب السياسي مفهوم يتحقق بموجب تفاعلية العلاقة بينهما، التي تحرص على إضفاء قيم جمالية- أيديولوجية على النص الأدبي السياسي،

3)- محمود شاكر ساجت منديل الجنابي، ***دراسات في شعر الخطاب السياسي الأندلسي: عصر المرابطين والموحدين وبني الأحمر (484-897هـ)***، دار المنهل اللبناني، بيروت- لبنان، ط1، 1434هـ- 2013م، ص19.
4)- أحمد سويلم، ***الشعراء والسلطة***، دار الشروق، القاهرة- مصر، ط1، 1424هـ- 2003م، ص217- 218.

فتسمه بالعمق وبعد النظر طالما أنها تحرص على إبراز موقفه تجاه قضايا العصر بصفة جمالية صارخة، إذ «ليس هناك حدث فني، بل حدث سياسي في ثوب فني»[5] فلا ينبغي للسياسة أن تنحسر فيخلو الأدب من أي قيمة أيديولوجية تعكس موقف وقناعات صاحبها، ولا ينبغي أن تتسع فيغدو النص مجرد بيان سياسي أو حزبي.

وقد تابع غالب هلسا مفهوم نجيب محفوظ نفسه، مع زيادة واضحة في بروز الموقف الأيديولجي، معتبرا أن «كل أدب هو أدب سياسي»[6]؛ لأنه يعبر عن رؤيا صاحبه الأيديولوجية، فيكون الأدب وسيلة في يد صاحبه لتمرير موقفه السياسي، لا غاية في حد ذاته، ذلك أن الأديب، وفق هذا المفهوم، لا يعبر حينما يكتب، بل يصرح أي «يحدد موقفا سياسيا، ويدعو إليه»[7].

وهذا لا يدفع إلى الخلط بين النسقين الأدبي والسياسي، فللخطاب الأدبي جماليته مثلما للخطاب السياسي جمالته أيضا؛ وهو ما دفع هلسا إلى الاستدراك بقوله: «ولكن وسيلة الأدب في التعبير عن الموقف تختلف عن وسيلة السياسي»[8]، فالأولى تستعرض الموقف السياسي للأدب بجمالية، فيما تستعرضها الثانية بأيديولوجيا محض.

ومهما يكن من أمر فإن الأدب السياسي نمط من الكتابة يتفق مع الأدب كونه نوعا يكمله بما توجبه عليه قوانين المؤسسة العامة التي تحتويه؛ وهي الأدب؛ ذلك أن «أدب السياسة هو خلاصة كل نظام وزبدة جميع الآداب، لأن السياسة في معناها الأصيل هي: "إدارة الأشخاص وإدارة الأشياء"، أو بالأحرى علم الأشخاص والكائنات والأشياء.»[9] ويختلف عنه كونه نوعا يتجاوزه بما توجبه قوانين المؤسسة الخاصة التي صدر منها؛ وهي السياسة؛ باعتبار أن أدب السياسة «هو استيعاب جميع العناصر والاتجاهات التي يؤلف تضادها وتفاعلها واجتماعها وتعاقبها ما يمكن تسميته بالظواهر السياسية.»[10]

---

5)- نبيل سليمان، ***أسئلة الواقعية والالتزام***، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، ط1، 1985م، ص82.

6)- أحمد خريس، ***المغترب الأبدي يتحدث،(حوارات مع غالب هلسا)***، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، (د.ط)، 2004م، ص20.

7)- ***م.ن***، ***ص.ن***.

8)- ***م.ن***، ***ص.ن***.

9)- سليمان خزاعي صالحة، ***ما بين العلة والغاية***، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ط1، 2014م، ص35.

10)- ***م.ن***، ص39.

الأمر الذي دفع بجاك رانسيير إلى اقتراح مفهوم للأدب السياسي ينطلق في تصوره من العلاقة الجوهرية القائمة بين الأدب كونه ممارسة محددة لفن الكتابة، والسياسة باعتبارها شكلا من أشكال الفعل الجماعي، ليقترح تحديدا اختلافيا يجعل «الأدب يمارس السياسة بوصفه أدبا»[11]، مما يخرج مفهوم الأدب السياسي بمظهر مضاعف؛ فهو يتعين بصورة السياسي طالما أنه يصدر عن مؤسسة تحكم طرائق إبداعه بقدر ما توجهها، كما يتعين بصورة الأدبي الذي يتمرد على قوانينه الخاصة، فيحددها بما يجترحه من تجديدات ممكنة في هيكلية المؤسسة نفسها.

2- مضامينه

1- الاهتمام بقضايا الحكم وسياسة الشعوب.

2- مناهضة الأنظمة الشمولية الديكتاتورية والكولونيالية والتنديد بجرائمها.

3- تمجيد مقولات الحرية والديمقراطية والنظم الرشيدة.

4- الحث على المقاومة والثبات في أوقات الأزمات.

5- الإشادة بالأبطال والزعماء والشهداء وذوي المواقف.

3- خصائصه

يتميز الأدب السياسي بـ:

1- طابعه الإنساني الذي يعكس تطلعات الشعوب وآمالها.

2- وطابعه الوجداني الذي يخاطب الوجدان والقلوب.

3- كما يضطلع بدور تاريخي مهم كونه يؤرخ لقضايا الشعب والوطن[12].

4- فضلا عن بروز موقف الأديب الذي يعكس انتمائه السياسيّ[13].

---

11)- جاك رانسيير، ***سياسة الأدب***، ترجمة: رضوان ظاظا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت- لبنان، ط1، أيار (مايو) 2010م، ص15.

12)- حنان عبد الرحمن، ***تطور الشعر السياسي وخصائصه***، يُنظر الموقع: ستوب5.كوم- stob.com. تاريخ الدخول: 16/ 10/ 2017م. زمن الدخول: 20:21.

13)- وفاء صلاحات، ***خصائص الشعر السياسي***، يُنظر الموقع: موضوع.كوم 2017- MAWDOO3.COM. تاريخ الدخول: 16/ 10/ 2017م. زمن الدخول: 15:21.

رغم اتساع رقعة النشاط السياسي في عصرنا الحالي، إلا أننا نسجل انكماشا واضحا في فعالية الأدب السياسي، واقتصرت على موضوعات محددة كالمقاومة والرفض والوطنية، بينما كنا نتوقع أن يتخرج أدباء ذووا اتجاهات سياسية، وربما حزبية محددة، تدافع عن أفكارها واتجاهاتها، كما تعرض بغيرها من الاتجاهات والأحزاب السياسية، فتنشأ ثورة في الأدب السياسي على غرار النقائض الشعرية أو شعر الخوارج والشيعة، بحيث يتسع مجال الأدب السياسي بما يقدمه من مواقف أدبية، بقدر ما يثري الحياة الاجتماعية والسياسية بما يثيره من قضايا وفعاليات قد تحول الحساسية الأدبية والنقدية إلى الأفضل على مستوى الفرد والجماعة.